

الرسالة الأولى

العالمية .. والشباب المسلم المعاصر

- العالمية فى نشاطها وتطورها وأثرها السياسى .
- أثر العالمية فى محيط الشباب المسلم المعاصر .
- ماترك الشباب المسلم فى يومه ، من أمسه .
- الشباب المسلم فى غده .

obeykandi.com

ظاهرة العالمية

أوظاهرة الصهيونية العالمية . وهى ظاهرة الأقلية فى أى مجتمع إنسانى .
هى ظاهرة التفوق فى جمع المال واكتنازه ، وظاهرة التفوق فى تحصيل العلم
والمعرفة الإنسانية .

فاليهود منذ أن شرّدوا من فلسطين بفعل بعضهم ضد بعض ، وبفعل الرومان
ضدهم جميعاً اتجهوا إلى شعوب عديدة للاستيطان بينهم . وكان عليهم لكى
يعيشوا ويضمنوا مستقبلهم - بفعل الغريزة الإنسانية فى المحافظة على
البقاء - أن يدخروا المال من جانب ، وأن يقبلوا على التعليم ويتفوقوا فيه من
جانب آخر .

وهذه وتلك ليست خصيصة اليهود كعنصر . وإنما ما تدفع إليه الغريزة
الإنسانية فيمن يحس فى نفسه أنه مهدد بالخطر لانتمائه إلى أقلية ، وبالأخص
إذا كانت مفرقة ومستضعفة أو مستذلة .

فاستضعاف الأقلية اليهودية فى كل مكان واستذلالهم من الكثرة التى
يقيمون بينها خلقت فيهم جميعاً روحاً موحدة ، متوارثة فى أجيالهم العديدة
المتلاحقة . وهى روح الترابط فيما بينهم على أساس من العقيدة اليهودية
والعادات والتقاليد التى كانت للمجتمع اليهودى . وبالإضافة إلى الميل إلى
جمع المال والاعتزاز به ، وإلى الرغبة فى التعليم والدراسة .

فهذه الروح اليهودية الموحدة هى :

- ١- من جهة : روح محافظة على الدين والتقاليد اليهودية .
- ٢- ومن جهة أخرى : روح ساعية أو روح تقدمية فى جمع المال وكنزه ،
وفى التفوق العلمى والفكرى .

وهذه الروح اليهودية الموحدة كانت الطابع فى أى مكان توجد فيه أقلية
يهودية فى العالم . وبذلك كانت لها صبغة عالمية ، أى ليست فى مكان دون
مكان بل فى العالم كله ، أينما يوجد نفر من اليهود ، قلّ عددهم أو كثر .
وعن هذه الروح اليهودية العالمية نشأ التفكير فى « الدفاع عن النفس »

أو في التعرض لخطر الإبادة أولاً ثم للاستذلال والاستضعاف ثانياً ، باعتبار أن اليهود قلة في كل شعب في العالم .

ولابد على الأقل لتحقيق هذا الهدف أن تكون هناك في هذه الشعوب « روح مسالة » بالنسبة للأقلية اليهودية أو « تعايش سلمى » لليهود بين شعوب العالم .

وطريق هذا الهدف هو دفع الشعوب إلى « العالمية » بدلا من العصبية الدينية أو القومية . . هو دفع الشعوب إلى ما يسمى بـ « الإنسانية » فوق « العنصرية » . سواء أكانت عنصرية الدين أو عنصرية الجنس والقوم .

* * *

● السبيل إلى تحقيق العالمية :

فعملت الروح اليهودية العالمية بما يملك اليهود من طاقات الأموال المكتنزة عن طريق الربا أو طريق الاستغلال السليم أو غير السليم ، وبما تملك كذلك من طاقات الفكر ووسائل الترويج لسه في النشر وغيره ، على التخطيط لجمعيات سرية وتمويلها بوسائل مختلفة لخلق « الوعى العالمى » وإشاعته في كسل شعب من شعوب العالم ، ومحاولة التقليل من أهمية الدين أو الجنس في تسويجه الإنسان وفي إتخاذه مواقف معينة في قضايا عنصرية : دينية أو وطنية ، من زاوية عالمية أو إنسانية .

وكانت أهم هذه الجمعيات السرية هي « الماسونية » - البنساون الأحرار - نشأت في القرن الثامن عشر في لندن ، ثم انتشرت كجمعية دولية في العالم .

وما يملك اليهود من طاقات المال زاد أمره بعد الثورة الصناعية منذ القرن الثامن عشر ، وزاد نفوذه على التوجيه السياسى والاقتصادى والثقافى فكان « رأس المال » ونظامه فى الحكم ، وكانت « العلمانية » فى صحبته . وهى سبيل آخر لتنمية « الوعى بالعالمية » على حساب الدين والقومية . والسدين هو المسيحية أولاً وبالذات فى عالم الصناعة ونظام رأس المال ، ثم الإسلام فى

البلاد المستعمرة لحساب الصناعة الأوروبية ورأس المال اليهودى المستثمر فى تلك الصناعة .

واتجاه « العلمانية » هو اتجاه توجيهى تربوى وثقافى وفكرى ، بينما اتجاه « الماسونية » سياسى وعلى مستوى التنفيذ فى الأجهزة المختلفة لأية حكومة فى شعب من شعوب العالم .

وجاء القرن التاسع عشر بتفكيره المادى ، وصناعته المادية ، وبنظامه الرأسمالى الاقتصادى وما يتبعه من « علمانية » تعمل فى هدوء وترث على إضعاف القيم الدينية والقومية . ولم ينته هذا القرن حتى أصبح تفكير « كارل ماركس » اليهودى له من الأنصار ما يكفى لعقد الندوات العالمية لبحث تنفيذه كمنهج للحياة والسلوك وكأسلوب لنظام حكم .

وعندما بدأ شيوع فكر « ماركس » وأحس اليهود بقوة أثرهم على « الوعى بالعالمية » فى مجتمعات البشرية كافة ، اجتمع بعض زعمائهم فى مدينة « بازل » فى سنة ١٨٩٧ لوضع هدف آخر لليهود عامة بجانب « التعايش السلمى » فى العالم ، فوضعوا هدفاً لإنشاء « وطن قومى » على « صهيون » وهو التل أو الجبل المشرف على القدس ، ويرمز به إلى أرض المعاد أو أرض الآباء والأجداد ، أو مملكة الله فى فلسطين .

ومنذ ذلك الوقت أخذت اليهودية العالمية طابع الصهيونية العالمية . وأصبحت الصهيونية شعاراً على تحقيق الوطن القومى أو إنشاء « إسرائيل » فى فلسطين .

ولكن لكى يتحقق الوطن القومى أو يتحقق إنشاء إسرائيل لا تكفى وسائل « العالمية » التى سلكتها حتى الآن ، وهى « الماسونية » و « العلمانية » . لأنها وسائل هادئة وبطيئة ، فليوضع تفكير « كارل ماركس » الراديكالى بالنسبة للدين والقومية موضع التنفيذ فى نظام حكم سياسى واجتماعى حتى يكون معولاً آخر قوياً ، وإن كان دموراً ومكشوفاً ولا إنسانياً وليتناول طبقة أخرى لا تتناولها العلمانية والماسونية .

لأنه إذا كان طريق « العلمانية » ينفذ إلى الطبقة الوسطى - وهى طبقة

البورجوازيين من المثقفين والشباب - بحكم أنه اتجه ثقافى يقلل من شأن الدين فى التربية والتوجيه ، وإذا كانت « الماسونية » للطبقة العليا من السياسيين ورجال الأعمال والفكر ، فطريق الماركسية ينفذ إلى الفلاحين والعمال. وهم أكثر الأفراد فى المجتمع اتصالاً بالإيمان بالله والمحافظة عليه كى يتدخل هذا الإيمان فى نفوسهم تحت ادعاء : أنهم مستغلون مظلومون ممن يملكون المال ، وأن هؤلاء يستعينون على ظلمهم واستغلالهم بالدين والأخلاق التقليدية . والدين فى ذاته مخدر . والأخلاق التقليدية وضعتها الطبقة البورجوازية لصالح أصحاب الأموال .

وتركيز « الماركسية » على الفلاحين والعمال ليس تركيز عطف وحنان عليهم ، وإنما هو تركيز قصد منه خلعهم من الإيمان بالله وتحطيم القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية فى نفوسهم .

وبهذا تُصَوَّب « الصهيونية » العالمية معول هدم الدين والقيم الأخلاقية عن طريق « الماسونية » إلى طبقة السياسيين ورجال الأعمال والفكر ، وعن طريق العلمانية اللادينية إلى الطبقة الوسطى من المثقفين والشباب ، وعن طريق الماركسية الراديكالية إلى طبقة الفلاحين والعمال . والحكومة العمالية العالمية هى إغراء وخداع للعمال والفلاحين ووسيلة فى الوقت نفسه لإحلال « العالمية » محل الدين والقومية فى نفوس هؤلاء العمال والفلاحين .

وبذلك يسير أخطبوط الصهيونية العالمية عن طريق العلمانية والماركسية فى جميع مستويات المجتمع الإنسانى - وهى مستويات الشباب والمثقفين ، والعمال والفلاحين - بعد أن يطيح هذا الأخطبوط بمن هم فوقهم ممن يسمون بالرأسماليين والمستغلين ، أو بمن هم من الأشراف والأرستقراطيين .

العلمانية إذن لا تستهدف تنوير الإنسان ، بقدر ما تستهدف إضعاف القيم الدينية والأخلاقية فى توجيهه .

والماركسية الراديكالية لا تستهدف تحقيق العدل الاجتماعى فى توزيع الثروة ، ولا زيادة الإنتاج فيما تملكه الدولة ، بقدر ما تستهدف تحطيم القيم الدينية والأخلاقية والوطنية فى توجيه الفلاح والعامل عن طريق التحكم فى

الاقتصاد القومى . إذ أنها فى المالكية العامة تستهدف الإبقاء على الحرمان والفقر - لصالح الحكم الاستبدادى فى تحطيم القيم الدينية والأخلاقية والوطنية . وتعتبر الصهيونية العالمية ناجحة حتى الآن بالنسبة لههدفها المرسوم . والذي يقيس إذن نجاح العلمانية فى خلق طبقة مستنيرة فى المجتمع الإنسانى يخطئ . وشأنه شأن من يقيس نجاح الماركسية بالإنتاج الاقتصادى فى زيادته وبإعادة توزيع الثروة القومية توزيعاً عادلاً . واستيلاء الصهيونية العالمية على الاتجاه الرأسمالى العلمانى هو عن طريق رأس المال اليهودى ، بينما استيلاؤها على الاتجاه الماركسى الراديكالى هو عن طريق رجال الفكر ، والأيدولوجية ، والعلم من اليهود .

* * *

● أثر العالمية فى توجيه السياسة الدولية :

- إن الصهيونية العالمية - وهى الروح اليهودية العالمية التى تتمثل فى السيطرة على التفكير ورأس المال فى العالم - دفعت الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة معاً فى مساعدة « تركيا أتاتورك » العلمانية اللادينية واللاإسلامية فى وجودها وتطورها . كى تكون مركزاً ونموذجاً لهدرالقيم الدينية والتحلل منها فى منطقة الشرق الأوسط ، تمهيداً لقيام دولة إسرائيل على أرض المعاد .

- ودفعت أيضاً هاتين الدولتين الزعيميتين إلى الاتفاق فى سبتمبر سنة (١٩٣٩ - ١٩٤٥) على الحرب ضد هتلر للتخلص من نظامه ومن عداته لليهود وإثارته موجة العداة ضدهم فى أوروبا وأمريكا مما يشجع على إضعاف فكرة التعايش السلمى لليهود فى العالم ، وهو هدف بجانب قيام دولة إسرائيل على أرض المعاد ، للصهيونية العالمية .

- ودفعتهما كذلك للاتفاق فيما بعد الحرب العالمية الثانية على إقامة منظمة عالمية تلحق بها منظمة للعلوم والثقافة والتربية تستهدف تحقيق « الروح العالمية » بين الأمم والشعوب عن طريق العلم والثقافة والتربية .

- ودفعتهما أيضاً للاتفاق عام ١٩٤٨ داخل المنظمة الدولية العالمية على قيام دولة إسرائيل على أرض المعاد ، تحقيقاً للهدف الثاني من أهداف الصهيونية العالمية .

- ودفعتهما كذلك فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ على الاتفاق على قرار مجلس الأمن الذى يسعى لأمن إسرائيل وإزالة العقبات فى حركتها فى الملاحة وفى المنطقة كلها ، بجانب الاعتراف بوجودها وكيانها .

- وما ظهر بين الاتحاد السوفييتى باعتباره زعيماً للكتلة الماركسية العالمية والولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها زعيمة للدول الرأسمالية من خلاف أيديولوجى اجتماعى يدعو إلى عدم المهادنة فى مطاردة الأولى للثانية انتهى بتعديل سياسة الأولى وتحول المهادنة إلى « تعايش سلمى » بين الكتلتين .

- وما بدا بينهما من تنافس فى اقتناء الأسلحة الذرية والصواريخ المختلفة المدى مما كلفهما أموالاً طائلة حُرمت منها شعوبهما وشعوب العالم ومما هدد البشرية بالفناء . . . انتهى إلى اتفاق بينهما على عدم استخدام الأسلحة النووية فى حرب قسامة ثم إلى مفاوضة فى مدينة « هلسنكى » على عدم القيام بتجارب أخرى جديدة نووية ، منذ بداية عام ١٩٧٠ .

- وما يبدو الآن من خلاف بينهما على تسوية الوجود الإسرائيلى فى الشرق الأوسط - بعد أن اتفقا على قرار ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ لمجلس الأمن الذى يقضى بالاعتراف بدولة إسرائيل من قِبَلِ العرب ، ويتأمن حدودها وحرية الملاحة لها فى قنال السويس وخليج العقبة - وسينتهى حتماً إلى اتفاق بينهما يسوِّمُ وجود إسرائيل ويضمن لها الحركة فى الشرق الأوسط كله .

وتحرص الصهيونية العالمية أشد الحرص على عدم وقوع تصادم مسلح بين الدولتين الكبيرتين ، وإن وقع بينهما احتكاك سياسى .

وما تحرص عليه الصهيونية هنا من عدم وقوع تصادم مسلح بينهما قد يغلبه قانون الحياة نفسه ، وهو قانون المسادية فى طغيانها فى المجتمعات البشرية . فالانحياز المادى يوصل حتماً إلى التفكك والانقسام والخصومة ، وأخيراً إلى الانهيار ، بفعل الأنانية والحرص على اقتناص المتع المسادية والاستمتاع بها .. إلى الترف فالعبث .

ومجتمع الماركسية كمجتمع الرأسمالية مادي وسائر في طريق الطغيان عن طريق الاتجاه المادي ، طالما استهدف كل منهما إضعاف « الروحية الدينية » .
أو بالأحرى القضاء عليها في السلوك الإنساني ، إما بطريق مقنع كما تفعل العلمانية ، أو بطريق مكشوف يقوم على التحطيم السافر والإرهاب في تتبع الإيمان بالله .

* * *

وإسرائيل - من وجهة منظر الصهيونية العالمية - تؤثر في منطقة الشرق الأوسط الدول « الثورية » على الأخرى التي يسميها « الثوريون » في هذه المنطقة بالدول « الرجعية » . لأن « ثورية » هذه الدول الثورية موجهة ضد الإسلام وقيمه ومبادئه بحكم الفكر الماركسي الراديكالي الذي تقلده في نظامه في الحكم وتحقيق هدفه . وهدفه القضاء على الدين والأخلاق والسلوك المقتن للإنسان ، في أي مجتمع بشري ، تمهيداً لقيام «العالمية» بين الشعوب والأمم، تلك العالمية التي تحقق بدورها : التعايش السلمى العالمى لليهود ، وتمكين دولة إسرائيل على أرض المعاد من الوجود الدائم المطمئن والحركة الواسعة نحو السيطرة على الاقتصاد العربى والإفريقي والآسيوى .

أما الدول الرجعية فلم تنزل تحافظ على « الإيمان بالله » في صورة ما ، أو تبقى المؤمن على الأقل يمارس إيمانه بدون محاولة لخلخلته أو لإضعافه .
فضمان وجود إسرائيل لا يكمن في اتفاق بينها وبين الدول التي تحيط بها ، بقدر ما يكمن في إضعاف قوة الإسلام في المحيط الذى تعيش فيه . فطالما الروح الإسلامية باقية وقوية في هذا المحيط فإن أمان إسرائيل من وجهة نظرها - وهو في الواقع كذلك - مهدد بخطر يوماً ما .

والدول « الثورية » في منطقة إسرائيل تعطى الدليل على ما يوحى به منطق الصهيونية العالمية من إشار إسرائيل لها على الدول الرجعية فيها .
فبعض الدول الثورية في المنطقة تطالب - بل وتؤثر من جانبها - أن تكون الحرب ضد « الرجعيين » و « عملاء الاستعمار الإمبريالى » لتطهير الأرض العربية منهم أولاً وقبل مواجهة إسرائيل .

فإذا ظهرت البلاد العربية من « الرجعيين » أى من المؤمنين أو من المحافظين على الإيمان بالله والسدعوة إليه ، فماذا يبقى بعد ذلك لمقاومة وجود إسرائيل ؟ أو ليكون خطراً على وجود إسرائيل ؟

أهو الماركسية العالمية التى تتبناها الدول الثورية آنئذ ؟ وليس لها الآن مطلب فى الشرق الأوسط مما يحيط بإسرائيل ، بعد أن كسحت الرجعية الدينية الإسلامية لتحل محلها وبدلاً عنها « العالمية » ؟

أهو القومية ، وقد سقطت بسقوط الدين والتقاليد والأعراف ، وبحلول العالمية كبديل عنها فى المنطقة عندئذ ؟

والاتحاد السوفييتى - فيما يظهر به من عطف على العرب فى النزاع القائم فى الشرق الأوسط - يعطى الدليل أيضاً على ما يوحى به منطق الصهيونية العالمية من وجوب استقرار إسرائيل على أرض المعاد فى الشرق الأوسط ، عن طريق تحطيم القيم الدينية فى المجال الذى تعيش فيه ، وهى قيم السدين الإسلامى .

فالسوفييت يشجعون الدول الثورية فى هذا المجال - وربما يملون عليها - ما تتجه إليه من إيثار الحرب ضد « الرجعيين » فى المنطقة على أن تكون ضد إسرائيل .

وهم الذين يشترطون فى السلاح الروسى أن لا يُستخدم ضد وجود إسرائيل . وهم الذين يشترطون كذلك أن يتخلى الذين يحملونه عن الإيمان بالله أو عن السعى من أجل تحقيق الإيمان بالله فى أية منطقة فى المجال الذى تعيش فيه . وهم السدين لا يدفعون بسلاح هجومى إلى من يدفعه الموقف من أجل الاحتفاظ بالسلطة أن يشن مرة ما سلاحاً هجومياً ضد إسرائيل .

وهم الذين يحافظون على ما يشترطونه بخبراء يعملون لحسابهم وحدهم عند مبتاعى الأسلحة السوفييتية فى الشرق الأوسط .

وحرب الإذاعة أو حرب الدعاية بين إسرائيل والدول الثورية فى البلاد العربية هى من جانب إسرائيل لتخويف أصحاب نظام الحكم الثورى من تكتلات فى الداخل ضدهم توجد الدعاية الإسرائيلية ، وبذلك يتشدد أصحاب النظام فى

القبض على الجبهة الداخلية وبالأخص أصحاب الميول الدينية أو الإيمان الديني فأصحاب النظام الثورى يخشون فقط عدوهم الأول فى نظرهم وهم أصحاب الدين أو المتدينون .

هذا هدف للدعاية الإسرائيلية . وهناك هدف آخر لها ، هو حمل أصحاب الحكم الثورى على «تعميق الثورية» فى الداخل لإيجاد ضمان لبقاء الحكم فى أيديهم ، وهذا التعميق يكون عن طريق إعادة تنظيم الحزب السياسى أو عن طريق التوسع فى الدعوة الماركسية . والتوسع فى هذه الدعوة هو زيادة شلل فاعلية الدين ويزيادة اضطهاده .

أما حرب الإذاعة والدعاية لإسرائيل من جانب «الثوريين» فى محيط الشرق الأوسط الذى يحيط بدولة إسرائيل فهى للخداع وللإيهام بأن هناك معركة مع إسرائيل يجب أن تجند لها جميع القوى . وفى مقدمة هذه القوى تحمل الحرمان ، والتضحية بالمصالح الخاصة ، والسكوت عن نقد تصرفات النظام ضد من يعتقلون أو يحاكمون سياسياً ، ومساندة النظام مهما كانت المشقة فى مسانده من كبت الحريات واضطهاد بعض الفئات أو الطوائف ، وتجريح العقيدة ومبادئها فى وسائل الإعلام المختلفة .

ومنطق الطوعية - عن شعور أو غير شعور - لروح الصهيونية العالمية هو تركيز إسرائيل فى الحرب الإسلامية على النظم « الثورية » فى محيط الشرق الأوسط ، وتركيز هذه النظم على إسرائيل ووصفها بأشنع الأوصاف وأكثرها لفتاً لأنظار العامة فى المنطقة .

وحرب بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط لن تقع بسبب إسرائيل ، وإنما الصهيونية العالمية ستحقق لإسرائيل الأمن والاستقرار عن الطريق الماركسى الراديكالى .

فأزمة الشرق الأوسط ليست هى الأزمة بين إسرائيل والبلاد العربية . وإنما هى أزمة الإيمان بالله ...أزمة الإسلام فى وجوده وفى بقائه فى هذه البلاد .. هى أزمته فى مطاردته وفى إضعاف الترابط على أساس منه فى المنطقة .

فالأزمة باقية ومتحجرة في ظاهرها بين إسرائيل والعرب ، وفي حقيقة أمرها هي بين أمن إسرائيل ووجود الإسلام ، حتى يضعف الإسلام بفعل المطاردة « الثورية » لقيمه ولتؤسساته ولبادئه ولرجالہ . وهذه المطاردة الثورية للإسلام تزداد عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة في النظم الثورية والإجراءات التي تُتخذ ضد الكتاب الإسلامي والمؤسسات والمعاهد الإسلامية والمنظمات الإسلامية .

ومنطق الصهيونية العالمية هو الإبقاء على هذه المطاردة للإسلام ، بالمحافظة على استمرار هذه النظم الثورية في الحكم ، وتوجيه الفريقين : أصحاب الماركسية الراديكالية وأصحاب الرأسمالية العلمانية معاً ، ليس فقط لصالح إبقاء هذه النظم في منطقة الشرق الأوسط بل لقبول المزيد منها أو للسعي إلى المزيد منها في هذه المنطقة .

والمترقب حسب المنطق الصهيوني أن يزداد عدد نظم الحكم الثوري في هذه المنطقة ، وبالتالي أن تشتد المطاردة للإسلام (١) ، كلما مر الزمن على هذه الأزمة المحجرة المتحركة ، فهي مجمدة في وضعها السياسي والعسكري . ولكنها متحركة بعنف في وضعها الأيديولوجي ضد الإسلام .

* * *

(١) وهنا يمكن أن يفهم لماذا اقترن قيام الانقلاب في السودان في ٢٥ مايو سنة ١٩٦٩ بإلغاء

الجامعة الإسلامية والمحاكم الشرعية ؟

ولماذا حرم طبع الكتاب الإسلامي في سوريا منذ انقلاب فبراير سنة ١٩٦٣ ؟

ولماذا يسمح فقط بطبع كتب التراث وحدها في بقية البلاد الثورية ؟

الفصل الأول

الشباب المسلم اليوم

• ما جد اليوم فى حياة الشباب العالمى :

إن الحياة التى يعيشها شباب المجتمعات الإسلامية فى الوقت الحاضر تتميز بمظاهر عديدة :

تتميز بوسائل الاتصال بما يحدث بين شباب المجتمعات الأخرى فى العالم ، تحت ظروف معينة يملئها تطور هذه المجتمعات . وهى وسائل الإذاعات المرئية وغير المرئية (من الراديو - والتليفزيون) ، والنقل السريع للبريد والإنسان فى طريق الطائرة النفاثة . واعتبار « الزمن » و « المكان » كحقائق أصبح فى عالم اليوم بفضل السرعة الفائقة فى النقل يكاد لا يُعترف به الآن . فالأقمار الصناعية لذاتصال تطوى البعد الشاسع بين مكان وآخر ، وتُقرب الزمن بحيث يبدو عدم التغيير فيه واضحاً فى فروق الوقت .

كما تتميز بالتقدم العلمى ، والتكنولوجى ، والصناعى ، والتقدم الاقتصادى ، فقد حل عصر جديد هو عصر « الآلية » ، بعد عصر « الآلة » وأصبحت الطوعية للعمل فى مجال واحد تخضع لفرد بدل أفراد ، وأصبحت الثقافة الدقيقة والمعقدة شعار العامل بدل العضلات وقسوة الساعد . وزاد الإنتاج الصناعى فى كميته ونوعه مما جعل حياة المجتمعات الصناعية حياة ازدهار وترف . ولكنه حتى الآن لم يقض على الفقر والحاجة ، وإن كان لم يسخر فى خدمة القضاء على الفجوة فى مستوى المعيشة بين أفراد المجتمع الواحد ، أو بين المجتمعات بعضها مع بعض ، وذلك بفعل « التخلف » فى مستوى الإنسانية لدى أصحاب هذه الحضارة الصناعية الضخمة .

وتحت عنوان : « بين تكلفة التسليح ، واحتياجات الفقر فى العالم » .
كتب « جيمس رىستون James Reston » (١) :

لكل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفىيىتى مشاكل اقتصادية
داخلىة جدىة :

- فى كل منهما ارتفاع فى عدد السكان .
- وفى كل منهما قوة نووىة تحطم الأخرى .
- وكل منهما وصل إلى أعلى نقطة فى القوة ، ويقف الآن على حافة الخسارة
فى الحرب ، أو رفع نفقات الإعداد للحرب .
- وإن نفقات الأهداف العسكرىة فى جمىع أمم العالم ارتفعت من ١٣٢
بلىوناً من الدولارات سنة ١٩٦٤ إلى ما هو أكثر من ١٨٥ بلىوناً من الدولارات
كل عام فى الوقت الحاضر . وهذا أعلى رقم فى أى وقت آخر، عدا ما وصل
إلىه الإنفاق فى قمته فى سنوات الحرب العالمىة الأخرىة . وتمثل زيادة قدرها
خمسون فى المائة منذ سنة ١٩٦٢ .
- نفقات التسلىح العسكرى والزىادة فىها تأخذ من غير شك مكاناً فى
مىزانىة كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفىيىتى . وزىادة التكلفة
العسكرىة فى السنوات الخمس الأخرىة ومقدارها ثلاثة وخمسون بلىوناً من
الدولارات يتحمل فىها كل من حلف الأطلسى وحلف وارسو بنسبة تسعة عشر
فى المائة .

وهذا لا يستتبع أن السرعة وارتفاع النفقات العسكرىة لدى الدول الكبرى
يقودان بالضرورة إلى الحرب . إذ فى الواقع يمكن أن يقال : « إن عدم الحرب
العالمىة بين ١٩١٩ - ١٩٣٩ لمدة عشرين عاماً على وجه التحدىد سببه أنه لم
ىكن هناك تعادل فى القوة . بىنما التعادل فى القوة ذو النفقات الطائلة بىن

(١) فى عدد الثلاثاء العشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٦٩ فى صحىفة « هيرالد تريبيون » .

واشنطن وموسكو تجنب الآن حرباً عالمية لمدة أربع وعشرين سنة « (١) .
- ومع ذلك فإن النفقات العسكرية بلغت منتهاها بالضبط فى وقت تدعو
الحاجة فيه إلى المال أشد احتياج ، لمعالجة ارتفاع السكان فى العالم .
فكما يلاحظ « روبرت ماكنمارا Robert McNamara » فى البنك
الدولى : أن انفجارات الانقلاب منذ الحرب العالمية الأخيرة وقعت فى المناطق
التي يكون سكانها فقراء وجياعاً .

- إن عدم التوازن المحزن فى العالم اليوم هو بين النفقات فى الأهداف
العسكرية والنفقات الأخرى فى الأغراض المدنية . فالنفقات العسكرية العالمية
الآن تأخذ سبعة فى المائة من القيمة الكلية لجميع السلع والخدمات فى العالم كل
عام . وهذا يساوى الدخل الكلى فى السنة لبلبون من السكان يعيشون فى
أمريكا اللاتينية وجنوب آسيا ، والشرق الأدنى .

ومن ثم تميزت حياة المجتمعات الصناعية المعاصرة مع ذلك بالقلق
والاضطراب وهو قلق السعى للوصول لمستوى إنسانى فى المعيشة لمن حرمانه.
واستتبعت هذه الظاهرة ، وهى ظاهرة الرخاء الاقتصادى وفى الوقت نفسه
ظاهرة « الحرمان » حرباً باردة تأخذ مرة اسم حرب الطبقات ، وأخرى اسم
الصراع الأيديولوجى . وهذه وتلك تعبران عن « الانقسام » فى المجتمعات
المعاصرة وراء المجتمعات الإسلامية بين « المستكبرين » و « المستضعفين »
وانقسام المجتمع البشرى إلى هذين الصنفين يكون سيطرة « المادية » فى
اتجاهها وطغيانها .

والمادية فى آثارها لا تدفع فقط إلى التخريب والحقد والكراهية فى المجتمع،
بل تنتهى على المدى البعيد بانهياره وسقوطه الذى لا مفر منه . وسقوط المجتمع
المادى بعوامل داخلية ، أو بتصادمه مع مجتمع مادى آخر ينافسه فى الوجود
المادى وفى التغلب على مصادر الثروات المادية فى العالم الإنسانى .

(١) فى نظرى أن تجنب الحرب العالمية الآن يعود إلى الصهيونية العالمية ورغبتها فى الارتقاء
على الكتلتين القامتتين . أما الحرب العالمية الثانية فقد سعت إليها هذه الصهيونية العالمية
لتدمير القوة المعادية للسامية وهى قوة ألمانيا الاشتراكية الوطنية .

- ويفضل الازدهارالاقتصادى فى المجتمعات الصناعية - على الأقل فى حياة مجموعة قل عددها أو كثر فى المجتمع - تميزت هذه المجتمعات بالإضافة إلى ما تقدم ، بالتراخى بين الشباب ، وباللامبالاة بالمسئولية الجديدة أو المسئولية الوطنية ، وبالاستجابة إلى ما يسمى بدعوة « السلام العالمى » والنفرة من المشاركة فى حرب ساخنة . هى دعوة يستهدف بها بث روح الاستسلام لهوى النفس وشهواتها فى « القعود » وحملها على الاستمتاع بالوجود الخاص وترك الإسهام فى أى نشاط يعود بالقوة والتماسك على المجتمع .

- وعن هذا الازدهار الاقتصادى تكوّن شعور المرأة بالاستقلال وعدم الحاجة إلى الأسرة أو إلى الرجل فى الإنفاق عليها . ومارست هذا الشعور بالاستقلال فى سلوكها وفى مواقفها فى الحياة . وبالأخص فى سلوكها نحو الرجل زوجاً أو أباً ، وفى مواقفها من رأيه ونظرتيه إلى الحياة التى أصبحت تعتبرها منتهية بالنسبة إليها . وهنا كانت ظاهرة « التحرير » أو « التحرر » التى توليها المرأة العاملة فى المجتمع المعاصر - وراء المجتمع الإسلامى - انتباهاً وتقديراً خاصاً . وقد خرجت بما تسميه حركة تحرير المرأة عن حدود المساواة فى الأجور والعمل ، والحقوق والواجبات فى الحياة المدنية والأسرية إلى المساواة فى إلغاء آثار الذكورة والأنوثة على الرجل والمرأة . وأصبحت تعطى لنفسها الحق فى تقليده فيما يلبس أو يصنع فى نفسه ، أو فى تحويل نفسها من جنس إلى آخر عن طريق « الهرمون » والعمليات الجراحية المتكررة .

وتتميز حركة تحرير المرأة المعاصرة بالسعى إلى تغيير اجتماعى شامل فى الأسرة وفى العلاقة الجنسية .

(أ) فتسعى إلى مساواة الطفل غير الشرعى بالطفل الشرعى ، وقد نجحت فى ذلك فى البلاد الاسكندنافية حتى الآن .

(ب) وإلى عدم اعتبار الزنا سبباً خُلُقياً يبرر مسئولية الزوجة فى طلاقها من زوجها ، وقد ألغى الآن فى الدانيمارك .

(ج) وإلى إباحة المعاشرة الجنسية فى غير علاقة زوجية : فى علاقة

الصداقسة أو فيما يسمى بزواج المجموعة (١) ، أو فى تبادل الزوجات والصدىقات ، وإباحة العرى فى المجتمعات العامة (٢) .

(د) وإلى جعل الطلاق حقاً للزوجين وحدهما ، دون تدخل من الدولة عن طريق القضاء ، وسينفذ ذلك فى السويد ابتداء من عام ١٩٧٢ .

(هـ) وإلى تيسير قيام الزوجية لمن دون العشرين وفوق السادسة عشرة ، بدون الحاجة إلى وصاية الآباء .

وقد أخذت حركة تحرر المرأة - بسبب الازدهار الاقتصادى والتطور التكنولوجى والصناعى - طابعاً متطرفاً زادت فيه عن معالم التطور ، ودخلت به مجال « ثورة الجنس » .

وهى ثورة تطرح كل التقاليد الماضية المتعلقة بأسرار المرأة وأسرار الرجل فى العلاقة بينهما . فأصبح يباح الآن :

(أ) عرض أفلام الجنس فى توضيح « الجماع » و « الحمل » و « الولادة » .

(ب) ونشر الصور العارية ، وكتب وأفلام الإثارة الجنسية (٣) .

(ج) وتوجيه الشباب منذ المرحلة الأولى فى المدرسة إلى معرفة « الجنس » من : الولادة - إلى الولادة .

(١) نشرت صحيفة نيوز أوف دى ورلد فى عدد ١٢ من فبراير سنة ١٩٦٧ صورة لأعضاء ما يسمى بـ « الأسرة الكبيرة » مكونة من ثمانية أعضاء فى استكهلم بالسويد ، وهى مثل للزواج الجماعى . وظهر فى الصورة أربع من النساء ورجلان . وشعار هذا الزواج : « ساهم وساهم كأسرة » ورجلان من الرجال الأربعة يشتغلان بالتعليم . والباقيان من رجال الأعمال . ويسكنون جميعاً فى منزل فى شارع (Valhallavaegeu avenue) ويعتبرون هذا الزواج آخر تجربة فى الحياة المعاصرة .

(٢) حكمت محكمة الاستئناف فى كاليفورنيا بإباحة عرى النصف الأعلى من جسم المرأة التى تعمل فى القهى والأندية العامة عند تقديم الخدمات للزبائن . نقلاً عن الجريدة السابقة فى ٦ يونية ١٩٦٦ .

(٣) افتتح أول معرض عالمى للجنس فى كوبنهاجن بالدانيمارك فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ كما جاء فى جريدة (Herald tribune) عدد ٢٢ أكتوبر ١٩٦٩ تحت عنوان : أول معرض عالمى للجنس يفتتح فى الدانيمارك فى زحام شديد .

(د) وإباحة اللواط والسحاق فى قوانين المجتمع ، ويشترط فقط فى إباحة اللواط بلوغ سن الرشد بين الرجلين .

(هـ) وتيسير رعاية الأم فى غير علاقة زوجية ، وتيسير إسقاط الجنين ، وتناول حبوب منع الحمل ، وجواز التلقيح الصناعى من غير ماء الزوج ، بشرط موافقة الزوجين ، وأنشئت الآن على غرار بنوك الدم بعض «البنوك» للاحتفاظ بمنى الرجال ، وبالأخص منى المحاربين فى ميدان القتال . حتى يمكن تلقيح زوجاتهم فى حالة عدم عودتهم لسبب من الأسباب .

وبالإضافة إلى هذه الثورات : الاقتصادية ، والصناعية ، والاجتماعية ، والجنسية ، قامت ثورة أخرى أشد عنفاً على أوضاع الشباب فى العالم ، لأنها تهز القيم الباقية فى نفوسهم وتضعهم فى موقف : « اللامبالاة » و « عدم المسؤولية » وعدم احترام أية سلطة للتوجيه . وهى « الثورة الثقافية » . وقد نشأت أولاً فى الصين الشيوعية لمحاولة خلع الجيل الحاضر والأجيال القادمة من الماضى وآثاره فى التراث الفكرى والحضارى والعقيدى ، خلعاً تاماً ، والتعلق فقط بفكر « ماو تسى تونج » فى الماركسية اللينينية . وتدعو هذه الثورة إلى :

(أ) نبذ الأعراف والعادات والتقاليد فى الأسرة : فى الزواج ، والمعاشرة الجنسية ، والأولاد . فقد نشرت صحيفة « الأيزرفر البريطانية » نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية - هجوم « ماو » على حياة الأسرة فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٦٧ ما يلى :

« إن حركة النقد لانحذار الأنساب التى أثارته « الثورة الثقافية » امتدت إلى حياة الأسرة ، كما عرفت اليوم . فصحيفة (Wen hni pao) التى تصدر فى شنغهاي أعلنت هذا فى مقالها بعنوان : « مواجهات نقد الأسرة عمل ممتاز .

ذلك النقد الذى يوجه هجوماً غير مباشر لذلك الموقف الملى بالاحترام ، الذى لم يزل يقفه كثير من الصينيين تجاه حياة الأسرة .

إن الصحيفة أعلنت أن تبادل الوالدين ، والأطفال أو تبادل الأزواج والزوجات ستكون له نتائج مثمرة ، رغم أنه فى بعض الأحيان يكون مثيراً . ولنأخذ على سبيل المثال حياً من أحياء شنغهاى - يقول المقال - : إن عاصفة « الثورة العمالية الثقافية » نفذت إلى كل السدروب والأقسام كوحدة تنظيمية اجتماعية أساسية ، بحيث إن الأسرة كسحت بعيداً عنها : المثل القديمة والعادات والتقاليد ، التى خيمت آلاف السنوات على الحياة » .

ولأول مرة تقدم الصينى الشيوعى القديم فى تحطيم هذه المثل والتقاليد والعادات ، وأعاد صياغة الوحدة الأسرية على أسس جديدة .

وقد أكدت الصحيفة - فى مقابل الحركات الأسرية السابقة - أنه لم يعد هناك الآن مكان « للمثل الميتة » و « الفكر البورجوازية » .

وبناء على ذلك يجب على الأسر أن تتجه إلى فصول الدراسة وتطلب فكر « ماو تسى تونج » . كما يجب أن تعلق صورته فى كل منزل ، وتقرأ كتبه ، وتعنى بفكره .

وفى الأمور الهامة فى السدولة يجب أن تناقش على نحو يكون « تفكيره » صاحب الفضل والرأى الأخير فيها .

ومن حيث الطاعة فى الأسرة يفضل أن يكون الخضوع لأولئك الذين تتفق تعاليمهم مع تفكير « ماو تسى تونج » بدلاً من الخضوع لبعض الناس الآخرين .

(ب) وجوب تغيير الأسماء التى تدل على ملاك الأراضى أو على الطبقة الوسطى من الموظفين والمثقفين (١) .

(ج) تحطيم مصادر الحضارة الإنسانية فى : المكتبات ، والمتاحف ، والمعارض ، حتى وقت قيام الثورة الثقافية فى الصين . والإبقاء على كتب « ماو » وحدها .

(١) كما جاء فى صحيفة « هيرالد تريبيون » فى ٨ سبتمبر ١٩٦٧ نقلًا عن موسكو فى مطالب الحرس الأحمر فى الصين .

(د) الدعوة إلى « الفوضوية » و « التحلل » و « عدم الالتزام » بقوانين المجتمع وما فيه من أعراف بين الأفراد . أى الدعوة إلى انطلاق الأتانية فى غير حدود .

(هـ) إنشاء الفرق المختلفة من الشباب التى تدعو إلى « الانطلاق » وعدم « الالتزام » ومباشرة الرحلات والندوات الصاخبة ، وتدخين الحشيش وأنواع عديدة من المخدرات ، وشيوع فوضى المعاشرة الجنسية بين الغلمان والمراهقات باسم « الجنس من أجل السلام » .

* * *

إن هذه الظواهر غير العادية لشباب العالم اليوم تدل على تمرد غير عادى واختلاف فى فهم الحياة ، وبالأحرى هى أمارات للعودة إلى الحيوانية فى صورتها المكشوفة غير المقنعة .

وهذه الظواهر إن عادت إلى نتائج الحرب العالمية الثانية فإن نتيجة من هذه النتائج تكاد تكون العامل الرئيسى ، وهى « المادية فى طغيانها » إن عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية هو عالم انطلقت فيه المادية مغلقة بلون من الفلسفة أو بآخر ، تسعى إلى تحطيم كل قيد إنسانى فى المجتمعات المعاصرة بقى للحفاظ على قيمة من القيم العليا للإنسان .

والصراع الذى برز على إثر إحراز النصر فيها بين المنتصرين باسم صراع « الأيديولوجيات » وهو صراع تبلور فى مراحل الآن بين كتلتين ماديتين : كتلة الشرق وكتلة الغرب .

والصهيونية العالمية بما أوجدته من فلسفة فى القرن التاسع عشر لنظام اجتماعى ينطوى على الحقد والعداء لنظام تقليدى آخر قوت أواصره الثورة الصناعية فى القرن الثامن عشر من قبل ، كى يستطيع اليهود المشردون فى العالم العيش فى سلام وفى غير اضطهاد بين الشعوب إلى أن يتم لهم إقرار

الوطن القومي بمعاونة النظامين العالميين معاً .. استطاعت أن تجمع الكتلتين في نظام عالمي موحد بعد الحرب العالمية الثانية هو : « هيئة الأمم المتحدة » لتحريك العالم وتوجيهه لصالح شعب إسرائيل .. « شعب النخبة » بسين بني الإنسان .

إنها إذ تجمع بينهما في وقت فلمصلحة صهيونية ، وإذ تفرق بينهما في وقت فلمصلحة صهيونية كذلك . وهدفها الأخير مادي . وثمرته يقتطف أطيبها هذه النخبة من البشر .

فعند اتجاه الاشتراكية الوطنية في « الرايخ الثالث » في ألمانيا من سنة (١٩٣٣ - ١٩٣٩) إلى اضطهاد اليهود كجنس وعنصر وإلى محاولة إبادة الموجودين منهم في ألمانيا يومذاك - كما يدعى - جمعت الصهيونية العالمية بين زعامتى العالم الرأسمالى والآخر الماركسى في حرب أصبحت عالمية ضد العهد الاشتراكى الوطنى حتى قضت على « الرايخ الثالث » . وهذه الحرب العالمية الثانية بنتائجها الآن غير المعهودة في المجتمع الإنسانى العالمى في تاريخه الطويل . سواء في التطور العلمى والصناعى أو في التغيير الاجتماعى أو في إثارة عدم الاستقرار والقلق في حياة الإنسان .

وبذلك وقت الصهيونية العالمية « شعب اللّـه المختار » من الإبادة أو من الاضطهاد على الأقل . وبهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية حصل اليهود على حرية كبيرة داخل ألمانيا وخارجها كما حصلوا على نفوذ عالمى أقوى على توجيه السياسة الخارجية للعالم بأجمعه .

وهذا النفوذ هو الذى مهد فيما بعد للاعتراف بدولة إسرائيل من هيئة الأمم المتحدة على أرض المعاد . كما هو ذاته الذى حمل الآن ما يسمى « ألمانيا الغربية » على دفع تعويضات لم يعرفها التاريخ من دولة إلى أخرى لبناء إسرائيل اقتصادياً وصناعياً ، استمرت عدة سنوات .

وعند الاعتراف بإسرائيل اجتمعت الكتلتان فى هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ وأقرتا الاعتراف بها .

وبعد حرب يونية ١٩٦٧ ، وبعد أن ظهرت نتائجها لصالح إسرائيل افتقرت الكتلتان لصالح إسرائيل أيضاً . وإن بدا بعد افتراقهما : أن إحدى الكتلتين تظاهر إسرائيل وأخرى لا تظاهرها ، فالواقع أن هذه الأخرى التى لا تظاهرها تساند إسرائيل أيضاً بطريق غير مباشر ، وهو تهديد الأرض التى تعيش عليها إسرائيل مع أعدائها لقبول إسرائيل بينهم إلى قرون أخرى عديدة مقبلة وممارسة الصهيونية العالمية من مقرها نشاطها فى اتجاهها المادى العالمى .

والدعوة التى يبشر بها الآن بعض أولياء هذه الكتلة الأخرى بين أعداء إسرائيل فى الشرق الأوسط من أن الحرب التى لا هوادة فيها يجب أن توجه أولاً لتطهير الأرض العربية من « الرجعية » - أى من الإسلام وأعوان الإيمان به - ما كان يمكن أن تظهر فى صورتها المفزعة الآن وما كان يمكن أن يجند لها من المسلحين وغير المسلحين من المسلمين عشرات الآلاف لو لم تظهر هذه الكتلة الأخرى بالخلاف فى الرأى بينهما وبين الكتلة التى تظاهر إسرائيل مباشرة وعلناً.

إن الكتلة التى تخاصم إسرائيل الآن لا ترضى إطلاقاً بزوال إسرائيل وهدم كيانها بعد أن قامت ، لا لخوف من الكتلة المناصرة لإسرائيل الآن ولكن لأن السياسة التى تملئها عليها الصهيونية العالمية باسم النظام الاجتماعى لهذه الكتلة تفرض عليها الدفاع عن إسرائيل : فى وجودها ، وبقائها ، واستقرارها .

وهى ترى أن طريق الاستقرار لدولة إسرائيل هو فى إعلان الصداقة للطرف الآخر والتأثير عليه باسم هذه الصداقة ، وفى إطلاق يدها بعد ذلك فى أن تخلخل القيم القرآنية التى يؤمن بها المسلمون فى هذه المنطقة تحت ستار حرب

«الرجعية» الدينية (١) . وعندئذ يعبد الطريق لاستقرار إسرائيل بنفوذ هذه الكتلة السياسية والاقتصادي في المنطقة من جانب ، ثم بضعف الروح الإسلامية آنذاك من جانب آخر . فالروح الإسلامية هي في الواقع روح الاستقلال ، وروح الشخصية في وجود أعداء إسرائيل في هذه المنطقة فإذا ضعفت هذه الروح كان الباب مفتوحاً لقبول إسرائيل بإمكانياتها المستمدة وقتئذ من الصهيونية العالمية، بين شعوب منطقة الشرق الأوسط .

والكتلة التي تعلن صداقتها لأعداء إسرائيل في الشرق الأوسط - مع إعلان مخلصيتها لإسرائيل طبعاً - هي التي مهدت للوضع القائم الآن بعد حرب يونية ١٩٦٧ في المنطقة ، كي تحقق استقرار إسرائيل والتعايش السلمي مع جيرانها بالطريق التي تسير فيه الآن .

إن الصهيونية العالمية يعنيهها في الدرجة الأولى استقرار شعب إسرائيل سواء أكان في الوطن القومي ، أو بين الشعوب في العالم كله ، دون أن تكون هناك إثارة لنزعة معادية لليهودية .

(١) إن تصدير السلاح من الكتلة الشرقية إلى أية جهة في الشرق الأوسط مشروط بشرطين : بالتخلي عن إزالة إسرائيل من الوجود ، وكذلك بالتخلي عن الاتجاه الإسلامي والقيم الإسلامية . ووزارة رئيس منظمة « فتح » لموسكو في فبراير سنة ١٩٧٠ تكشف عن استراتيجية الكتلة الماركسية - بتوجيه الصهيونية طبعاً - في إبعاد الإسلام من أرضه تمهيداً لقبول دولسة إسرائيل على أرض المعاد في تعايش سلمي في منطقة الشرق الأوسط ، دون المساس بوجودها .

والكتلة الشرقية تضمن استخدام أسلحتها المصدرة إلى الشرق الأوسط ضد «الرجعية» في هذه المنطقة قبل أن توجه إلى إسرائيل ، عن طريق خبائثها أو التعهدات التي تأخذها على الجهة الراغبة في الحصول عليها .

والتابعون في منطقة الشرق الأوسط لولاء الكتلة التي أعلنت عداها لإسرائيل من الكتلتين القائمتين بفعل الصهيونية العالمية هم أقرب إلى إسرائيل منهم إلى الرجعية في هذه المنطقة . وإسرائيل من جانبها تؤثر هؤلاء التابعين في بقاء نفوذهم وتوجيههم على من عداهم بمن يرتبطون بالإسلام في أخلاقياتهم ومقاييسهم السياسية والتوجيهية ، وإن حاولت أن تشن بعض الحملات ضدهم من وقت لآخر .

والسبيل إلى ذلك هو إضعاف المقومات التي تحفظ استقلال الشعوب .
وأولها الدين ، ثم القومية . والنظام الذي كان سائداً قبل قيام النظام الماركسي
الذي تأسس على فلسفة اليهودى الصهيونى « كارل ماركس » ، وهو النظام
الرأسمالى ، ورغم « الحرية » السواسة فى مباشرة رأس المال ، ورغم سيطرة
الرأسمالية وأعوانها من اليهود على السياسة والاقتصاد فى كل مجتمع
رأسمالى ورغم تشجيعها للاتجاه العلمانى .. هذا النظام لم يكن كافياً مع ذلك
لإضعاف آثار الدين والقومية وتحقيق روح « العالمية » بين الشعوب المختلفة،
بل ربما كانت لسيطرة اليهود على رأس المال العالمى أثر فى الإبقاء على
إيجابية كل من هذين العاملين .

وكانت « الماركسية » طريقاً « متطرفاً » لإزاحة الدين والقومية من طريق
العالمية . ومعارضة الفلسفة الماركسية للدين والقومية ليست معارضة موضوعية
بقدر ما هى سياسة . والغرض منها تحقيق روح « العالمية » .
واختيار الماركسية لأن تكون « العالمية » « عمالية » كى يبقى مكان لتوجيه
الصهيونية خلف الحركة العالمية العمالية . لدى القادة المفكرين الصهيونيين
وحدهم ، كما هو الشأن فى توجيه أصحاب رؤوس الأموال من اليهود للنظام
الديمقراطى .

وإذا وقع احتكاك أو اصطدام بين كتلتى هذين النظامين فى مجال المنافسة
المادية والتوسعات الاقتصادية فى العالم فإن هذا الاحتكاك لا يبقى طويلاً ،
ويعود الأمر إلى التزاحم أو التعايش السلمى . وشعار « التعايش السلمى » الذى
أوجدته سياسة التطبيق الماركسى لمهادنة النظام الرأسمالى هو شعار « المصلحة »
بين الكتلتين الذى عملت عليه الصهيونية العالمية لبقاء « الصراع » بينهما
أقرب إلى الاستغلال المادى وتوهين القيم الأخلاقية .

والتسابق « النوى » الذى استنفد - ويستنفد - أموالاً طائلة ومجهوداً غير
محدود للعلماء وللبحوث التجريبية ، والذى كان يشيع السرعب والقلق فى
البشرية طيلة سنوات مضت ، وظن كثيرون أنه سينتهى إلى تصادم نوى يقضى
على البشرية وحضارتها . انتهى أمره إلى اتفاق بين النظامين ، وأصبح هذا
الاتفاق منذ الرابع من فبراير ١٩٧٠ موضوع التنفيذ .

والذى استفاد من هذا التسابق النووى هو « مادية » الصهيونية العالمية عن طريق الصناعة فى الأسلحة والعلم فى استحداثها معاً . فرؤوس الأموال فى الصناعة يملك اليهود الغالبية فيها ، بينما علماء اليهود يسيطرون على توجيه البحوث والتجارب ، فى أى من النظامين .

فالكتلتان الشرقية والغربية فى يد الصهيونية العالمية أشبه بفرسى رهان لا يُستغنى عنهما ولا عن واحد منهما ، والذى لا يربح منهما اليوم يُعد لأن يربح غداً .

وأموال المتنافسين فى « حلبة السباق » توزع عليهما وليس من الضرورى أن يكون بالتساوى بينهما ، ولكنها لا تخرج عن دائرتهما .

إن أخطبوط الصهيونية العالمية ليس مبالغاً فيه ، ولكنه الحقيقة التى تدفع الاتجاهات العالمية فى السياسة الدولية فى مدارها المرسوم (١) .

وإذا كان العنصر اليهودى الممثل فى مجال الاقتصاد العالمى وراء النظام الرأسمالى فإن العنصر اليهودى فى ذاته - بنسبة ثمانين فى المائة فى « دعوة الفكر الماركسى » وستين فى المساية فى هيئات التدريس بالجامعات فى الكتلة الشرقية - الممثل فى رجال الفكر وراء سياسة النظام الماركسى .

و « علمانية » النظام الرأسمالى إذا وجهت ضد القيم الدينية والأخلاقية توجيهها غير مباشر ، وتطرف النظام الماركسى إذا وجه ضدها توجيهها مباشراً ، فإن أثرهما معاً - بعد أن انطلق النظام الثانى على إثر انتصار اليهودية العالمية على النظام الاجتماعى الوطنى فى ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية - على القيم الإنسانية فى المجتمعات الغربية والشرقية المعاصرة على السواء ، هو ما يجرى اليوم باسم « ثورات » عديدة :

- ١- ثورة الجنس .
- ٢- ثورة تحرير المرأة .
- ٣- الثورة الثقافية .
- ٤- الفوضوية واللامسئولية ...

(١) حوادث مايو سنة ١٩٦٨ بفرنسا تحت ضغط الرأسمالية ، وحوادث تشيكوسلوفاكيا فى أغسطس سنة ١٩٦٨ تحت ضغط رجال الفكر أيضاً تسدل على رد فعل السياسة الفرنسية والاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط فى قيادة الصهيونية العالمية .

والمجتمع الذى تتأثر علاقاته وقيمته بهذه الثورات هو المجتمع المسيحى والحضارة المسيحية أولاً . ويتبع هذا المجتمع فى العالم اليوم المجتمع الإسلامى والحضارة الإسلامية ، وتأثر العلاقات فى أى من المجتمعين إن بدا فى التفكك ، وفى شيوع الأنانية والفردية فإنه يبدو أيضاً فى « اللامبالاة » وعدم الاكتراث بين أفراد المجتمع . وهذه الظواهر الاجتماعية هى التى تجعل باب المجتمع مفتوحاً لما يسمى بالتعايش السلمى لليهود بين شعوب العالم ، ولدولة إسرائيل على أرض الآباء والأجداد وأرض المعاد فى منطقة الشرق الأوسط .

أما المجتمع اليهودى فى أى مكان ، وأما دولة إسرائيل فى مكانها المختار فهما بعيدان عن هذا التأثير . إذ وجودهما قوياً هو غاية ، وسيلتها - تفكيك الروابط - وبالأخص الروابط الدينية والقومية - فى المجتمع غير اليهودى ، إما عن طريق المجتمع العلمانى والرأسمالى أو عن طريق المجتمع الماركسى المتطرف .

إن اليهودية كعقيدة تنطوى على عوامل الفرقة فى ذاتها ... تنطوى على الاتجاه المادى والتأثر به فى سلوك اليهود ، وتنطوى كذلك على روح التفرقة العنصرية ، ليس بين اليهود ومن عداهم ، بل بين يهود الغرب ويهود الشرق فى إسرائيل ذاتها ولكنها فى مواجهة السعى نحو استقرار دولة إسرائيل على أرض المعاد ، ونحو التعايش السلمى لليهود العالم هى العنصر القسوى الآن للترابط بين اليهود وتكتيلهم جميعاً لتحقيق هدفهم فى الحياة فى الوقت الحاضر ويستوى فى ذلك يهود الكتلة الشرقية أو يهود الكتلة الغربية .

ومن هنا كان المجتمع اليهودى بعيداً عن التأثير « بالموجات الثورية » وهزتها للقسم الذاتية والإنسانية والأخلاقية فى المجتمعين المسيحى أولاً ، والإسلامى ثانياً .. المسيحى العلمانى ، والماركسى المتطرف ، والإسلامى الثورى أو العلمانى كـ « تركيا » .

وبرزت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مسرحاً زمنياً لأحداث الصهيونية العالمية ونتائجها فى خلق تعايش سلمى لليهود العالم ، وإقامة دولة إسرائيل على أرض الآباء والأجداد ، بفضل التقاء حصيلة كل من النظامين العالميين فى

مصعب واحد ، بعد انطلاق النظام الماركسى فى حركته لغايته المستهدفة .
والاعتقاد سائد فى أن الصهيونية العالمية تحمص على هذا النظام الثانى
أكثر من حرصها على النظام الآخر الرأسمالى . لأن فعاليته فى إهدار القيم
الدينية وإضعاف مقومات القومية - وبالتالي على تعبيد الطريق للتعايش
السلمى اليهودى واستقرار دولة إسرائيل - أشد وأقوى من أى نظام آخر أو حركة
عالمية أخرى سبقته .

فقد وجدت « الماسونية » ووجدت « العلمانية » ولكن تأثيرهما لم يكن
فعالاً ، رغم أنهما يحتاجان إلى زمن طويل فى تأثيرهما . لأنهما يسلكان
إما: طريق الدعوة المسالمة إلى الحركة ، وإما طريق الضغط غير المباشر عن
طريق المال .

وأما « الماركسية » فإنها تسلك طريق العنف والإرهاب وإبادة العناصر
البشرية فى الإنسان من : حرية ، ورأى ، واستقلال ذاتى ، كما تسلك طريق
الخداع والتغريب ، أو التزييف فى الإعلام .

إن الصهيونية العالمية تفيد الفائدة المادية المرجوة من أى من النظامين
العالميين فى حكم المجتمعات الإنسانية المعاصرة . ولكنها مع ذلك تفيد فائدة
أكثر نحو هدفها من : التعايش السلمى اليهودى العالمى ، ومن استقرار دولة
إسرائيل ، من بقاء النظام الماركسى قوياً .

ولذا ما تبشر به الماركسية من النصر النهائى على النظام الرأسمالى ليس
مرجعه إلى صدق ما تدعيه من قوانين اجتماعية وحتمية وقوع نتائجها ،
ولا إلى رجحان تفكيرها الفلسفى والأيدىولوجى . وإنما لفعاليتها بالنسبة لهدف
الصهيونية العالمية .

والصهيونية العالمية ليست « جمعية » أو « اتحاداً » عالمياً بقدر ما هى
« روح » متوارثة بين يهود العالم ، كونها الاضطهاد الزمن ، والإذلال الطويل
المدى ، والقسوة أحياناً ، التى كان يُعامل بها اليهود الموزعون بين شعوب العالم
طيلة قرون عديدة .

وهذه الروح دفعتهم مرة إلى جمع المال وادخاره ، ثم الدخول به مجال النفوذ
فى السياسة والتوجيه فكان النظام الرأسمالى .

ومسرة أخرى دفعتهم إلى تحصيل العلم والمعرفة وإلى دخول مجال الفكر ، فكان منهم العلماء والمفكرون الذين كسبوا نفوذاً أدبياً وعالمياً . وبذلك كانوا وراء النظم الاجتماعية التي تدعو إلى التغيير، وبالأخص وراء تلك التي تدعو إلى تغيير اجتماعى متطرف كدعوة « الماركسية » ، فكان النظام الماركسى .

وستظل هذه « الروح » لها دفعها العالمى ، طالما هناك يهود موزعون بين شعوب العالم ويستوطنون فيها وأصحاب نفوذ اقتصادى أو فكرى أو علمى فى حياة هذه الشعوب . ووجود دولة إسرائيل على أرض المعاد - ولو مستقرة هادئة - ليس عاملاً يدعو إلى جذب جميع يهود العالم إلى السكنى فى أرض الآباء والأجداد ، لأن وجودها فى نظر يهود العالم هو مكان أمين لمن يخاف منهم الاضطهاد فقط فى شعب يستقر فيه ، كما يعبر من جهة ثانية عن البعث لأمتهم بعد القرون العديدة التى مرت على نزوحهم من هذه الأرض ، سواء بفعل بعضهم ضد بعض ، أو بفعل الأجانب عنهم .

وهكذا :

- الصهيونية العالمية « روح » قبل كل شئ .
- وذات نزعة مادية جارفة .
- وذات هدف لا تحيد عنه ، وهو : تحقيق « التعايش السلمى » العالمى لليهود بين شعوب العالم ، وقيام « دولة إسرائيل » قوية ومستقرة على أرض المعاد .
- وذات وسيلة نافذة لتحقيق هدفها ، هى : تحطيم القيم الدينية ومقومات القومية فى الشعوب المسيحية والإسلامية على السواء لضمان تحقيق الهدف المنشود . ونتيجة لهذه الوسيلة شيوع الانحلال . واللامبالاة ، وعدم المسئولية ، والأنانية الفردية .
- وذات فلسفة أو فلسفات تغطى الهدف الحقيقى ووسيلته . فالوضعية ، والوجودية ، والمادية من أهم مدارسها .

* * *

الفصل الثانى

ما ترك للشباب المسلم فى يومه من أمسه

ما ترك للشباب المسلم اليوم من أمسه هو صورة باهتة أو ضعيفة عن الإسلام . فالشباب المسلم اليوم له منطق خاص فى قبول أو فى رفض ما يعرض عليه ، تكون هذا المنطق تحت تأثير أساليب الثقافات العديدة والمتنوعة ، وبالأخص الوافدة منها . إنه يعيش فى حياة تكاد تختلف تماماً عن حياة آبائه وأجداده فى الحضارة الصناعية والآلية ووسائل الخدمات العامة . والإسلام عندما يُقدّم له ، يُعرض فى أسلوب الماضى وحده . وهو أسلوب يرتبط أشد ارتباط بتفكير هذا الماضى واتجاهات الحياة فيه . ولذا يبدو الإسلام غريباً ، أو يبدو فى عزلة عن حياة الشباب المعاصرة .

إن الدراسات النفسية ، والاجتماعية ، والإنسانية على العموم قد اتسع اطارها واتصلت بواقع الإنسان والمجتمعات البشرية ، كما زاد استخدام نتائجها أو ما يُسمى بقوانينها فى إقناع الإنسان المعاصر ، أو فى مخاصمة الرأى والحجة . ومبادئ الإسلام يصعب عليها فى الوقت الحاضر أن تمس واقع المجتمعات الإسلامية - المتغيرة - فى محاولة لحل مشاكلها التى ليست هى (تلك المبادئ) مسئولة عنها ، إلا إذا مهد لها الطريق فى تحليل هذه المشاكل أو فى تحليل الواقع الإسلامى للمجتمعات الإسلامية ، بمعونة من تلك الدراسات النفسية ، والاجتماعية ، والإنسانية . فهذه الدراسات على الأقل هى دراسات موجهة لواقع المجتمع الإنسانى ، قصد تحليله أو تقنينه واستخلاص المعالم المحددة لسيره .

وبجانب هذه الصورة الباهتة أو الضعيفة التى يُعرض بها الإسلام من المسلمين للشباب المسلم اليوم ، قد يقع نظره على صورة أخرى للإسلام . وهى

صورة مشوهة ، رسمها مفكروالغرب - فى شرقه أو غربه - عنه . والهدف من رسمهم لهذه الصورة المشوهة له هو خلخلة القيم الإسلامية والإيمان بها ، تمهيداً لتثبيت قيم أخرى وإيمان بأيدولوجية تختلف عن الإسلام ، مكان قيمه فى نفوس الشباب المسلم اليوم .

وتلك الصورة الضعيفة أو الباهتة عن الإسلام من شأنها أن لا تخلق إيماناً فى نفسه ، فضلاً عن أن تزيد الإيمان به فى نفسه . وهذه الصورة الأخرى المشوهة له من شأنها كذلك أن تزيد فى ضعف إيمانه بالإسلام ، إن لم توح له بنفرة منه ، وياتخاذ موقف عدائى تجاهه .

* * *

كما ترك لهذا الشباب المسلم المعاصر من أمسه صراع سياسى فى مجتمعاته لا يميز وحدتها فحسب . بل يُبقى مع ذلك على التخلف والخرافة فيها : فالصراع السياسى يستنفد النشاط كله فى اللجاجة أو فى التوجيه السياسى من أجل الحكم ، والتسلط عن طريقه ، على الأقل للجاه ، إن لم يكن لتحقيق أهداف شخصية منه .

والمجتمعات الإسلامية المعاصرة - بعد استقلالها السياسى بصكوك من المستعمر إياها - لم تبدأ الطريق السليم فى قيادتها ، وهو الطريق الذى يأخذ فى اعتباره تاريخ المجتمع ومقوماته من عقيدة ورسالة له منذ قيامه إلى وقت استقلاله . والاستقلال السياسى لذلك كان فاصلاً زمنياً ، وليس حدثاً فى تغيير اتجاه هذه المجتمعات وتأكيد استقلالها على أساس من العوامل المشتركة فيها بين الأفراد .

فقد سارت هذه المجتمعات إما فى نفس الطريق السابق على الاستقلال ، أو انتقلت إلى « تبعية » أخرى . . تبعية اقتصادية واجتماعية وقيادية ، تضاد تماماً تاريخ المجتمع المسلم ومقوماته .

ومن شأن هذا الاتجاه أو ذلك أن يخلق معارضة ولو مكبوتة له وللمسؤولين عنه ونظام حكمهم . فيضطر المسؤولون عن النظام إلى الإغراق فى الدفاع عنه ، وتجنيد القوى المادية والبشرية لحمايته أطول وقت ممكن ، بدلاً من أن تُستخدم

هذه القوى فى التنوير ، والتثقيف ، وفى البناء ، وفى مطاردة التخلف النفسى والاقتصادى .

والشباب المسلم يضطر أن يعيش بين طرفى هذه المعارضة السياسية التى تحمل الحقد والكراهية من أحد الجانبين للآخر ، بعد أن اضطرت ظروف الماضى للمجتمع بالنسبة للإيمان بالإسلام ، وكذلك ظروف الأحوال العالمية التى هزت القيم الإنسانية العليا فى نفسه ، لأن يعيش فيها ، حين لم يعد يستطيع أن يستخلص له طريقاً فى الحياة ، يجنبه آثار هذ الجو الذى يحيط به وينشأ فيه .
والمعارضة المكبوتة فى المجتمعات الإسلامية بعد استقلالها قد تجد منفذاً لها فى الانقلابات والمؤامرات ، وقد يصحب دافع الانقلاب رغبة فى التزاحم على السلطة لذات السلطة . وقلما تكون هناك مصلحة وطنية عليها تحصل على الانقلاب أو التآمر .

وشأن الانقلابات أن لا تهين استقراراً ، فضلاً عن البناء ، بل تزيد فى استنزاف الطاقات الوطنية : البشرية والاقتصادية منها . لصالح الخلاف على الحكم والسلطة ، والإبقاء على عوامل الضعف والتخلف .

ولكى يساعد الانقلاب نفسه على الاحتفاظ بالسلطة لمصلحة شخصية - وليس لمصلحة وطنية عليا - يسعى إلى تبنى بعض الأيديولوجيات التى تنكر القيم العليا فى السلوك والمعاملة ، وتنكر الدين والمقاييس الأخلاقية فى الحكم ومباشرة السلطة ، وتروج فحسب للمذلة فى الطاعة . والإكراه فى تبعية القيادة . وتبنى مثل هذه الأيديولوجيات فى الحكم يوسع الفجوة فى صفوف المجتمع ، كما يشير خصومة الفكر الوطنى له . ذلك الفكر الذى يستند إلى تراث المجتمع فى ماضيه من حضارة ، وثقافة أو ألوان عديدة فى المعرفة ، وروحية دينية قام بسببها ويعيش من أجلها .

والمجتمعات الإسلامية قد شهدت قبل الاستقلال السياسى نزاعاً أيديولوجياً من نوع آخر ، بسبب مزاحمة « العلمانية » التى جلبها المستعمر معه ، للإسلام فى مبادئه ونظامه الاجتماعى والسياسى . والإسلام لم يفرغ بعد ، حتى بعد الاستقلال السياسى ، من مخاصمة العلمانية وطردها من واقع المجتمع الإسلامى فى أى مكان تشبثت بالبقاء فيه .

وهنا فى المجتمع الإسلامى المعاصر يسد طريق أمام الإسلام - مع ضعف الصورة التى يعرض بها - حتى لا يراه الشباب المسلم فى يومه .
خصومة أيديولوجية عنيفة تشترك فيها ضده : العلمانية السابقة على الاستقلال السياسى ، والمادية الإلحادية اللاحقة لهذا الاستقلال .
إسلام ضعيف أو مشوه فى عرضه .

وعلمانية متشبثة بمواقفها فى نفوس المتعلمين عليها من قادة الفكر فى المجتمع ، وفيما يُحشد لها من طاقات متنوعة .

ومادية جامحة لا تعرف من الإنسانية إلا جسم الإنسان وبدنه ، ولا تعرف من أهداف الحياة للإنسان إلا لقمة العيش التى يتسول من أجلها ، ولان القوة إلا تلك التى تحمل على الطاعة فى نفاق أو إكراه ، وهى قوة صاحب السلطة التى يتسلط بها على من عداه .

... هذه الثلاثة تضع الشباب المسلم فى يومه ليس موزعاً عليها فقط ، بقدر ما هو ممزق فى نفسه فلا يستطيع أن يستجمع طاقتها ليتبع واحدة منها فيبقى مستسلماً ، ثم يتحول إلى غير مسئول فى شعوره ، وإلى عديم المبالاة فى مواقفه .

والمادية التى تحاول أن تظنى فى توجيهها تربط السلوك الإنسانى بالمنفعة المادية وحدها . وهذا يزيد فى التحلل من القيم والروابط الاجتماعية معاً . ثم يزيد فى الشعور بعدم المسئولية وفى موقف اللامبالاة . وتصبح المصلحة العليا - وهى مصلحة الأمة والوطن - ليست مصلحة عليا . بل تعلقها مصلحة الفرد ومطالب أنانيته .

* * *

وإذا أضيف إلى طغيان المادية فى التوجيه ، وإلى تشبث العلمانية بمواقفها فى نفوس بعض قادة الفكر والتوجيه فى المجتمع الإسلامى ، وإلى ضعف الصورة أو إلى تشويهها التى يُعرض فيها الإسلام .. تدهور المؤسسات الدينية الذى أصبح ملحوظاً منذ الاستقلال السياسى للمجتمعات الإسلامية فلا يُقبل على الإسلام من الشباب المسلم اليوم إلا من يسلم من تأثيره بهذه العوامل السلبية كلها . وأين هو ؟ وكم من العدد تكون جملته ؟

معاهد كانت متوفرة على الإسلام فى رعاية عرضه وصون دراسة مبادئه ،
كم تعرضت لهزات ؟

وأوقاف خيرة حُبست لصالح الدعوة الإسلامية وحماية الإيمان بها والمجتمع
القائم عليها ، كم بقى منها اليوم ؟

وقضاء على أساس من الفقه الإسلامى ، على الأقل فى شئون الأسرة وفى
الوصاية على الضعيف ، كيف صار اليوم ؟

وصوت كان يرتفع بالأذان للإسلام وبالإعلام بمبادئه ، أين هو الآن من صوت
المادية أو صوت العلمانية بين المسلمين وشبابهم ؟

فكيف يفكر الشباب المسلم اليوم ؟

إنه فى أزمة . وأزمته هى أزمة سلوك ، وأزمة فكر ، وأزمة توجيه : إنه
يوجد فى متاهة الاتجاهات المختلفة . . إنه مشدود ومنجذب ومدفوع دائماً إلى
ما يعارض بعضه بعضاً ، ويُكذَّب بعضه بعضاً ، ويخاصم بعضه بعضاً .

إن الحسن أمامه ليس متميزاً فى وضوح . وإن القبيح يأخذ صوراً عديدة
فلا يستطيع أن يقف عند واحدة منها .

إن أزمته أزمة عالمية . وأزمة أخرى محلية داخلية فى مجتمعه هو . وإن
كانت العوامل فيهما واحدة ، ولكن اختلاف المسرح للآثار ، واختلاف الإخراج
لنتائج هذه العوامل يبقى على الفرق بين هاتين الأزميتين .

فالفهيونية العالمية وراء أزمة الشباب ، إذ أزمة الشباب هى أزمة فى
القيم الإنسانية العليا ، التى هى قيم الدين أو قيم الوطن ، وهذه القيم
الإنسانية العليا فى تحطيمها - أو على الأقل فى التوهين منها - هدف هذه
الروح اليهودية العالمية التى تسعى لتميت غيرها لتحيا هى ، ولتهدم ما عداها
لتبقى فى مأمن من خطر الغير عليها .

لماذا تبقى قيم مسيحية وأخرى إسلامية فى مجتمع إنسانى ، ولماذا تبقى
قيم وطنية تفصل بين وطن ووطن على أرض معينة ؟

إن بقاء هذه أو تلك هو الخطر - اليوم أو غداً - على التعايش السلمى لليهود
فى العالم ، وعلى استقرار دولة إسرائيل بعد قيامها على أرض المعاد ، والآباء
والأجداد .

فإذا لم ينجح الاتجاه العلماني في إبعاد المجموعتين من القيم في التوجيه المتطور الهادئ ، فلتكن المسادية التاريخية « الثورية » التي لا تحفل بقانون طبيعي أو إنساني هي العامل في إبعادها لغير رجعة ، أو في غير بعث لهما من جديد في زمن مقبل قريب أو بعيد .

إذا لم تنجح الرأسمالية ذات النفوذ على التوجيه في نظام الحكم القائم عليها في تحقيق هدف الصهيونية العالمية فلتنتجج الماركسية الإلحادية الثورية في تحقيق هذا الهدف في نظام الحكم الذي تبناها .

وليس هناك مجتمع إنساني في عالمنا المعاصر اليوم لم تنفذ إليه فلسفة العلمانية أو فلسفة الماركسية . ولكن الفارق بين مجتمع وآخر هو في مدى نفوذ كل من هاتين الفلسفتين وبالتالي في مدى أثرها في حياة المجتمع ، وبالأخص في حياة الشباب المعاصر .

فإذا زحفت على المجتمع الإسلامي اليوم - بفعل التقدم الإنساني في العلم والتطبيق الصناعي - آثار هاتين الفلسفتين فيما وراءه ، فإن هذه الآثار تزحف من خارجه إلى داخله لتضم إلى شبيهة لها ، وإن كانت على مستوى ضيق أو ضعيف . ولكنها على أية حال تجدد لها قبولاً ، يستطيع أن يحرك في الغد ، إن لم يظهر عامل تحريكه اليوم .

وإذن أزمة الشباب المسلم اليوم هي أزمة التضارب ، والتعارض . . هي أزمة الاختلاف والتخاصم . . وفي الوقت نفسه هي أزمة الناشئ في ضعفه ، وأزمة صاحب الحاجة إلى قيادة غيره ، وأزمة غير المستقل وغير الرشيد . . أزمة المتردد بحكم مرحلة تطوره . . أزمة القابل للتردى ، وللسمو معاً . . أزمة القابل لتبعية الحيوان ، وقيادة الإنسان كذلك .

إلى أين يتجه الشباب المسلم اليوم بها ؟
كيف ؟

وبأية وسيلة يصل إلى هدفه ؟

. . . هذه هي مشكلته أو أزمته .

* * *

الفصل الثالث

الشباب المسلم فى غده

إن الشباب المسلم فى وضعه الراهن هو فى حيرة من أمر نفسه ، وفى حيرة أخرى من مستقبله . أما حيرته فى نفسه فلأنه لا يستطيع أن يفيق مما يقتحم عليه نفسه ، بعد أن يطبق على سمعه وبصره ، من اتجاهات فكرية مختلفة ومتضاربة . لا يستطيع أن يقيم أى واحد منها . وكل ما يستطيعه أن يتقبل مؤقتاً نوعاً من هذه الاتجاهات بقسوة تأثير الدفع إلى سمعه أو إلى بصره ، حتى يأتي اتجاه آخر يزداد فى قوة تأثيره عما سبقه فيحل محله أو يختلط به .

وهو فى حيرة كذلك من أجل مستقبله ، لا يدري أين يصل به التضارب فى الاتجاهات التى لا تتوانى عن شدة وجذبه ، وأحياناً فى عنف وإكراه .

هل ستتاح الفرصة للشباب المسلم فى غسده أن يُحمى من الفكر الدخيل ومن محاولة اقتحام النفس والعقل عليه ؟

إن هذا رهن بتصرفات الحكومات فى المجتمعات الإسلامية فى موقفها مما تدفع به « العالمية » داخلها ، عن طريق العلمانية فى ظل الرأسمالية ، أو عن طريق الراديكالية فى ظل الماركسية .

وتحديد الحكومات فى المجتمعات الإسلامية لموقفها من أى من الطريقتين يخضع للبواعث لها على مباشرة الحكم فى هذه المجتمعات . أ تعود هذه البواعث لمصلحة وطنية عليا ، أم تعود إلى الاحتفاظ بالسلطة وجاه الحكم والنفوذ ؟ والمصلحة الوطنية العليا يحققها الاستقلال وعدم التبعية لأى اتجاه سوى الاتجاه الذى قام المجتمع على أساس منه . وهو اتجاه الإسلام . فمعنى المجتمع الإسلامى هو ذلك المجتمع الذى يتبنى المبادئ والقيم الإسلامية فى سلوكه وفى سياسته .

إن حماية الشباب المسلم فى غده من التبعية الفكرية والأيدولوجية الأجنبية

هى خطوة أولى فى إعداده لقبول الإسلام والإيمان به فى غده . وليس مطلوباً فى هذه الحماية فرض رقابة دقيقة على تسرب الفكر الأجنبى فى وسائل الإعلام المختلفة ، بقدر ما يُطلب فيها تنحى الدولة عن أن تفرض هذا الفكر الأجنبى ، وتدفع به ، وتصر على شيوعه وحده عن طريق أجهزة الدولة فى الإعلام . ولا تترك مجالاً فى هذه الأجهزة للفكر الوطنى أو الإسلامى إلا مجال المنبذ ، وضعيف القيمة فى وجود المجتمع .

وإذا استجابت الحكومات فى المجتمعات الإسلامية إلى المصلحة الوطنية العليا وإلى حماية الشباب فى غده من الفكر الدخيل - وهذا احتمال ضعيف فى الوقت الحاضر لأسباب عديدة - فالخطوة التالية لضمان إيمان الشباب المسلم بالإسلام فى غده هى طريقة عرض الإسلام عليه .

والإسلام بمبادئه وقيمه يكون نظاماً للحياة ومنهجاً للسلوك والعلاقات فى أمة قوية بسلوكها الإنسانى ، وبمبعتها من الاعتداء عليها . ومن أجل ذلك يمكن أن يُعرض على الشباب فى مجموعات من المبادئ ، كل مجموعة ترسم إطاراً للسلوك ، أو تقدم منهجاً عملياً لقيادة الأسرة والمجتمع على أن يكون ما يُقدم له كفيلاً بحل المشاكل التى تواجهه من جانب ، وبإقناعه بأخذ نفسه بما يلتزمه طبقاً للإيمان من جانب آخر .

ومعنى هذا وذاك أن ينزل العرض للإسلام عليه مجال الواقع الذى يعيشه ، وفى مواجهة الفلسفات التى تحاول أن تقتحم نفسه لإقناعه بالأخذ بها ضماناً لحسن السير فى واقعه كما تدعى . كمجال الاقتصاد مثلاً . فموقف الإسلام من المال - وهو موقف الملكية الخاصة مع المنفعة العامة له - يجنب المجتمع الحرمان من جانب ، فى ظل الترف والعبث والفساد عن طريقه . كما يجنبه « التواكل » و « اللامبالاة » و « خفة المسئولية العامة » فى مباشرة المال فى الملكية العامة من جانب آخر .

والنزول بعرض الإسلام مجال واقع الشباب المسلم اليوم يتطلب الوقوف على المذاهب والأيدولوجيات المعاصرة ، ثم من قبل ذلك يتطلب فهم هدف القيم والمبادئ الإسلامية . وهدفها لا يعسده أن يكون استقامة الإنسان كإنسان فى سلوكه ومواقفه فى حياة مجتمعه .

وقد تطلب الأمر فى بعض فترات التاريخ الإسلامى فيما مضى أن ينزل العلماء بالإسلام مجال الواقع فى المجتمعات الإسلامية فى مواجهة الفكر الدخيل من الشرق أو الغرب على السواء ، وأن يقوموا بتوضيح حلوله لمشاكل المجتمع بحيث ينطوى الاقتناع بها على التمسك بالإسلام من جانب ورفض الفكر الدخيل من جانب آخر .

وسير الشباب المسلم اليوم فى حياته على مقتضى إيمانه بالإسلام لا يدفع إليه إلا تحويل العبادات والمبادئ الإسلامية إلى سلوك عملى . . . إلا مراعاة التدريب على مباشرة العبادة وعدم التفريط فى أدائها ، على نحو لا يجعلها عادة تُقضى دون استخلاص نتائجها فى حياة الإنسان ككل ، ولا يجعلها أيضاً مستقلة ومنعزلة لا تستتبع آثارها .

فيجب أن يكون أداء الصلاة مستتبعا للحد من تأثير الاتجاه المادى على من يؤديها فلا يرتكب - من أجل الاستمتاع بمتع الدنيا - الجرائم الاجتماعية من قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ، ولا يزنى ، ولا يسرق ، فى الوقت الذى يكن مهياً فيه تهيئة نفسية لمساعدة من يحتاج لمساعدته فى محيطه الذى يعيش فيه .

. . . . ويجب أن يكون أداء الصوم مستتبعا كذلك لآثاره فى حياة الصائم ، ليس فى وقت دون وقت ، وإنما على مدى الحياة التى يعيشها . وهى آثار الإمساك عن اللغو فى القبول والزور والكذب ، والسعى بالنميمة والوشاية ، وغير ذلك مما يسئ إلى الذات أو إلى الآخرين فى المجتمع .

وعلى هذا النحو تودى الزكاة بحيث تستتبع الإنفاق فى سبيل الله عن طيب خاطر ، ومما يحرض المالك المزكى على اقتنائه .

وأداء الحج لا يستتبع فحسب زيادة الارتباط بالله وبمجتمع المؤمنين ، وإنما يجب أن يستتبع كذلك الوقوف ضد الباطل ، كما توحى بذلك شعيرة رمى الجمار ، ومشاركة الآخرين فيما يملك من متع الدنيا كما تستهدف شعيرة النحر . وبهذا يمكن للشباب المسلم اليوم أن يسهم فى بناء مجتمع الغد . يسهم فى بناء مجتمع إنسانى فاضل ، قسوى متماسك فى وجهه التبعية للغير ، وضد

الذويان فى « عالمية » تجرده من خصائصه وتُعدّه لأن يكون موضوعاً لاستغلال
المادية اليهودية فى غير مقاومة .

وعن طريق بناء المجتمع الإنسانى الفاضل فى غد الشباب المسلم يكون
إسهام هذا الشباب فى حضارة إنسانية عالمية ، تختلف عالميتها عن تلك التى
تستهدفها الصهيونية العالمية ، لأن عالمية الإسلام تستهدف شيوع القيم
الإنسانية العليا فى الاعتبار البشرى ، وفى التعاون ، وفى العلاقات ، بين
الناس جميعاً . أما تلك فغايتها إخضاع الشعوب فى العالم لسيادة العنصر
اليهودى واستغلاله وتوجيهه لمصلحة اليهود قبل مصلحة غيرهم ولتمكينهم من
الاستغلال بأساليبهم الخاصة فى غيبة رقابة الدين الخاص والقومية الخاصة :
وهى رقابة توحى على الأقل بالحذر ممن ليس على هذا الدين ، وممن لا ينتسبون
إلى القومية .

والحضارة الإنسانية هى حصيلة إنتاج المجتمع الإنسانى فى التفكير
والعمل . إن كلاً منها عندئذ لا يكون إلا لغاية إنسانية بعيدة عن الأنانية
والأثرة .

* * *

والآن مطلوب كل هيئة إسلامية ، ومطلوب كل مؤمن فى مجتمع إسلامى
تحقيقاً لإقبال الشباب المسلم على الإيمان بالله ، هو :
١ - أن تعنى الجبهات الرسمية فى المجتمع بالإيمان بالدين ، وتشجع الدولة
كل طريق خاص يودى إلى تحقيق هذه العناية ، طالما سمحت الدولة فى المجتمع
الإسلامى بعد استقلاله السياسى « بتجميع » التصرف فى الأمر والتوجيه فيه
بإشرافها وتحت رقابتها وحدها .

٢ - كما تعنى بالبناء الاجتماعى وتأسيسه على تربية إسلامية تستهدف
مواجهة التخطيط « لعالمية الصهيونية » .

٣ - وأن لا تسمح لأجهزة الإعلام الرسمية بمناقضة الدين والتشكيك فى
قيمه باسم « الفكر المفتوح » أو بأى اسم آخر . لأن السماح بذلك ينطوى على
أن يأخذ التخطيط الصهيونى فى طريقه إلى التحقيق ، دون وعى أو شعور
بذلك .

٤ - إغلاق باب المجتمع الاسلامى دون تشجيع استيراد أيديولوجيات أجنبية وضعت لمشاكل لا توجد فى مجتمعاتنا الإسلامية ، ودلت التجربة فى تطبيقها هناك فى بيئتها وظروفها على إفلاسها فى علاج ما وضعت لأجله ، بالإضافة إلى ما تخلقه من مشاكل جديدة : اجتماعية واقتصادية .

٥ - إعادة تخطيط الدعوة لمبادئ الإسلام ، والتزول بهذه المبادئ مجال «المواجهة» للتحديات التى تحاول أن تثبت على الأرض الإسلامية وفى قلوب الشباب المسلم .

● إن الأخذ بالإسلام وحده ، كنظام للحياة ومنهج للسلوك ، فى سياسة المجتمع وتوجيهه هو الوقاية له من خطر الصهيونية العالمية .

● وإن بريق الاتجاهات فى الأيديولوجيات الأجنبية هو بريق خادع ... وهو طعم لإغراء الوقوع فى مخالف الأخطبوط العالمى .

● إن الأخذ بالإسلام ليس معناه العزلة عن الحياة المعاصرة السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، وإنما معناه وجود العدة السليمة للقضاء ما يحتمل من أخطار أجنبية توجه إلى المجتمع .

● وإن الأخذ بالإسلام كذلك ليس معناه : معاداة العلم والتقدم الصناعى التطبيقى ، وليس معناه أيضاً تجنب الأخذ عن المجتمعات الصناعية المتقدمة الأخرى . بل بالأحرى معناه : الحيلة فى قبول الخبرة العلمية الصناعية وفيما تقدمه المجتمعات الصناعية من مصنوعات لا يتجاوز القيود فيها مجال المبادلات الاقتصادية .

● وإن الأخذ بالإسلام من شأنه أن يكتل ، والتكتل قوة ، ومن شأنه أن يخفف الحقد ، وتخفيف الحقد علاج للضعف فيه .

● وإن الأخذ بالإسلام لا ينطوى على « عنصرية » دينية أو شعوبية ، لأن الإسلام لتوجيه الطبيعة الإنسانية بما لها من خصائص إنسانية ، وليس للسيادة والتمييز .

* * *